ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Ruqayya Suhail Khalil

College of Arts
Al-Mustansiriya University

Email:

Keywords:

Simple society, interview, oral history, pension time.

Article info

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

Oral history in anthropological studies

A B S T R A C T

The research deals with an important method and tool of anthropological analysis tools, namely the historical analysis of oral cultures.

The concept of oral history and its analytical importance. The second was entitled the negative aspects of the oral approach. The third topic: the conditions of the oral narrative. The fourth topic was titled The steps of the oral approach and the importance of interviews, in addition to the introduction to the research and the most important sources contained therein.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3042

التاريخ الشفاهي في الدراسات الانثربولوجية

م.م. رقية سهيل خليل
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

مستلخص البحث:

يتناول البحث منهجا وأداة مهمة من أدوات التحليل الانثربولوجي ألا وهي التحليل التاريخي للثقافات الشفاهية حيث تحاول هذه الورقة البحثية بيان ما معنى التاريخ الشفاهي وفي أي مجتمعات يمكن تطبيق هذا المنهج كذلك بيان أهمية التحليل التاريخي في الدراسة الانثربولوجية حيث تضمن البحث على عدة مباحث كان الاول مفهوم التاريخ الشفاهي وأهميته التحليلية والثاني كان بعنوان سلبيات المنهج الشفاهي اما المبحث الثالث : شروط الرواية الشفوية اما المبحث الرابع فكان بعنوان خطوات المنهج الشفاهي وأهمية المقابلات إضافة الى مقدمة البحث واهم المصادر الواردة فيه .

الكلمات المفتاحية: مجتمع بسيط ، مقابلة ، تاريخ شفاهي ، زمن معاش.

المقدمة:

تجاذبت فكرة التاريخ الشفوي في العقود الأخيرة، نظريات وآراء اختلفت في تعريف ماهيته وتحديد نشأته وتعيين دوره وقيمته في المقاربات المعرفية الإنسانية او التاريخية حيث توسع وظيفة هذا المنهج في استكمال وجمع المعرفة الاجتماعية والثقافية خاصة للمجتمعات التي لا تملك تاريخيا مكتوبا مدونا ونستطيع القول ان علم التاريخ بدءا شفاهيا من خلال الروايات المتناقلة والأخبار المتواترة والرحالة والمبشرين وغيرهم وحتى في مرحلة التدوين والكتابة التاريخية بقيت الشهادة الشفاهية مصدرا مهما واساسيا للخبر التاريخي، من المعلوم أن الانسان ترك الأثر أينما ارتحل منذ بدء الخليقة إلى عصرنا الآني ،وكانت أثاره وحركاته وسكناته حقيقة منطقية في عصر ما قبل الكتابة فكيف وصلت ألينا والحرف لم يشق طريقه بين ثنايا الجمل التي تحكي قصته ،أذن هذا ما ندعوه التاريخ ألشفاهي الذي سبق التاريخ المدون بفترة كبيرة والذي يعود له الفضل بعدم ضياع الأحداث الهامة في غابر الزمن ١.

المبحث الأول :مفهوم التاريخ الشفاهي واهميته التحليلة:

أن الثقافات المعروفة والمدوَّنة كانت في الأصل ثقافات شفهية، فالإلياذة والأوديسة وغيرهما من آثار اليونان كانت في الأصْل شفهيَّة، وكان هوميروس أول مؤرخ شفهي وصلتنا أعماله مدوَّنة، وجاء بعده هيرودوت وتوكيديدس ، وهما أوَّل من جمع بين الرواية الشفهية والمدونة، وكان الأول يقوم برحلات كثيرة في آسيا الصُّغْرى والشرق الأدنى؛ يجمع القصص والحكايات حول تاريخ البلاد التي يزورها وفي العصر المسيحي الأوَّل كان للروايات الشفهية مكانة كبيرة، ذلك أن أغلب المسيحيين لم يكونوا ملمِّين بالقراءة، ولذا تبرز الرواية الشفهية في أسفار الإنجيل التي امتد تأليفها على مدى خمس وسبعين سنة، ومثل ذلك يُقال عن أسفار ابوكريفا* كما استخدم المؤرخون العرب والمسلمون المادة الشفهية بشكلٍ واسع، بل إنَّ قدرًا من التراث العربي المدوَّن، في ميادين علميَّة كثيرة، كان تراثًا شفهيًّا قوامه التداول والرواية الشفهية، وهناك إجْماع على أنَّ جلَّ المحدثين والمؤرِّخين والإخباريِّين والأُدَباء والشُّعراء الأوائل، قد استفادوا من المصادر الشفهيَّة فالطبري والمسعودي وابن خلدون يأتون على رأس المؤرخين المسلمين الأوائل الذين اعتمدوا بشكلٍ كبير على الروايات الشفهيَّة عند تأليفهم كتبهم، ويكاد الشعر العربي الجاهلي برمته أن يكون شعرًا شفهيًّا نشأ في وسط غنائي. ويرجع الفضل إلى العلماء

المسلمين الذين قنَّنوا قواعد علمية للاستفادة من الروايات الشفهية، أصبحت تلك القواعد فيما بعد علومًا مستقلة مثل: علم الإسناد، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وغير ذلك كثير ومع هذا الواقع فإن عددًا من المؤرخين الآن لا يعترِف بالمصادر الشفهية، ويقول مسعود ضاهر* (إن هذه الظاهرة أمام تدوين الكثير من الحقائق التاريخية الجديدة التي يتم اكتشافها في أثناء إجراء المقابلات الشخصية الشفهية كما أدى إهمال المؤرخين للتراث الشفهي إلى ترك هذا الميدان للمتخصِّصين في الانثروبولوجيا والفولكلور، الذين لا يهتمُّون بالماضي)٢.على حد تعبيره وبذلك يكون التاريخ الشفاهي معني بتسجيل وتوثيق السيرة الذاتية للراوي والأنساب والحياة الاجتماعية، والإدارية والسياسية، والاقتصادية، والدينية، والتعليمية وتشمل جملة عريضة من المواضيع كتوثيق أنساب القبائل والعشائر وفروعها، والعادات والتقاليد في الزواج والموت، العلاج، وسائل التسلية، أدوات الزينة، الصيد والقنص بمختلف أنواعه، تربية الحيوانات والخيل والإبل، الأطباق الشعبية . . إلخ، ثم الحكم المحلي ودوره في الحياة العامة، دور زعماء القبائل المحليين وعلاقة الناس والحكام المحليين، التجارة والزراعة، الصناعات والحرف اليدوية، النظام المالي وأنواع العملات والموارد المالية والمساجد ودورها الديني والاجتماعي ودور رجال الدين في المجتمع والتعليم وأساليب الطب الشعبي كالأدوية الشعبية المستخدمة وعلوم الفلك والملاحة والفنون والصناعات اليدوية وفنون الغناء والموسيقى وأساليب العمارة كبناء المساجد والمنابر والزخرفة، وسائل بناء وتصريف المياه وصناعة السفن وتاريخ بعض الأماكن الموجودة في الدولة وما يرتبط بها من قصص وأشخاص عاشوا فيها، وما مرّوا فيها من قصص وذكريات لشخصيات ارتبطت بالمكان.

أمَّا في العصر الحديث فقد نشطت حركة الاستفادة من المأثور الشفهي في ميدان التاريخ منذ القرْن الثاني عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر في أوربا، ونتج عن ذلك كُتب تاريخية كنظام الحوليات، ومؤلَّفات عن تاريخ المدن وتاريخ الأسر الحاكمة، ثم ضعفت الحركة في القرن التاسع عشر، أمَّا في أمريكا فقد استمرَّ الاهتِمام بالتراث الشفهي؛ ذلك لأنَّه يُشكل المصدر شِبْه الوحيد للسُّكَّان المحلِّيِّين والمهاجرين على حدٍّ سواء، وبحلول القرن العشرين الميلادي ازداد الاهتمام بالمأثور الشَّفهي في ميدان التاريخ، ولم يطْلع فجر عقد الستينيات من ذلك القرن إلاَّ وقد برزت حركة علميَّة قويَّة بقيادة يان فانسينا وآخرين من المؤرِّخين والأنثروبولوجيين والفولكلوريين، تدعو إلى اعتِماد المأْثور الشَّفهي مصدرًا من مصادر التاريخ.

وحسب التاريخ المكتوب للبدايات المسجلة للتاريخ الشفهي، فقد كانت جامعة كولومبيا السبَّاقة في هذا المجال في عام١٩٤٨م حين أطلقت مشروعًا لتدوين التاريخ الشفهي لمجموعة من الشخصيات الأمريكية؛ بتسجيلهم على أشرطة تسجيل، وذلك على يد المؤرخ في الجامعة (الان نيفنز)، وقد سبق جامعة كولومبيا إدارة رسمية أمريكية في عام ١٩٣٥م سميت (إدارة تطوير الأعمال)، حيث قامت بإرسال مجموعات من المحاورين لعمل جولات ميدانيَّة على الناس وطرح أسئلة عليهم حول موضوعات محددة؛ مثل الحرب الأهلية الأمريكية، والعبودية في أمريكا، لكنَّ البعض لا يعتبر هذه الإدارة من مؤسسي –أو رواد– التاريخ الشفهي على اعتبار أهدافها الأساسية كانت بعيدة عن تدوين التاريخ الشفهي نفسه؛ فقد كانت تهدف –بين أمور أخرى– إلى المساهمة في حل مشكلة الكساد الاقتصادي التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الأولى . وفي خمسينات وستينات القرن العشرين قام عدد من المؤرخين البريطانيين بتسجيل جانب من التاريخ الشفهي للطبقة العاملة، ثم تم إنشاء جمعية التاريخ الشفهي البريطانية في سبعينات ذلك القرن على يد بول طومسون. كما قام الأمريكيون بتأسيس جمعية التاريخ الشفهي في العام ١٩٦٧، وقبل هؤلاء –في عام ١٩٤٢م– قام أحد المؤرخين، وهو (جوزيف غولد) بعملية جمع التاريخ الشفهي لذلك الزمان، ورغم أنه لم يقم بإنتاج أو نشر هذا التاريخ إلا أنه أعطى نوعا من الشعبية والانتشار لمصطلح التاريخ الشفهي٣ .

وفي الستينيات، شهدت الجامعات الأمريكية موجات الاحتجاج الطلابي ضد حرب فيتنام، وتقوت حركة المطالبة بالحقوق المدنية والحركة النسائية. وفي هذا السياق، انتقل الاهتمام التاريخي من زاوية الأعلى إلى زاوية الأسفل، وكان الاهتمام بسير حياة المهمَّشين نوعا من التاريخ المضاد. وقد وجدت هذه الكتابة ضالتها في بعض المناهج التي صاغتها العلوم الاجتماعية. هناك مدرسة شيكاغو السوسيولوجية التي تعود إلى العشرينيات، وقد سعت إلى تعميق فهم ظواهر الانحراف والتهميش والهجرة وصعوبات الاندماج. وبدل الدراسة الكمية التي تقوم على ملئ الاستمارات، صاغ الباحثون ملامح المنهج الكيفي الذي يقوم على التحري الميداني والملاحظة بواسطة المشاركة. وأصبح استدعاء الذاكرة الفردية وسيرة الحياة وسيلة لإدراك الواقع الاجتماعي في تداخله مع قيم وتطلعات لمعنيين٤.

أن التاريخ الشفاهي يستنطق الماضي كونه جذر الحاضر والمغذي للوعي والإدراك فمن خلال الماضي سوف نفهم تاريخ بناء المنظومة الثقافية، وليس بعيدا عن هذا الرأي ما يذهب اليه بولو فيدولسكي من ان (الماضي يبني الحاضر من خلال تراثه –ثقافته –لكن الحاضر هو الذي يختار هذا التراث ،ويحفظ بعض جوانبه وينسى الأخر ،وهو الذي يعيد باستمرار صياغة صورة الماضي في أذهاننا بإعادة رواية القصة مرارا وتكرارا)٥.

اذا التاريخ الشفوي هو كتابة تاريخية تعتمد بالأساس على المصادر الشفوية، والفردية في الغالب، وتعطي الكلمة للشاهد أو الفاعل– الشاهد، من دون أن تمنحه ثقتها اللامشروطة، كيفما كان وزنه وخصاله. ويوظف الباحث أدوات النقد التاريخي منذ مرحلة المقابلة والاستجواب، حتى وإن كان المشروع يقتصر على بناء الأرشيف الشفوي. فهو يبدأ بتوثيق عناصر المرحلة التي تتصل بالمبحوث ، ويستحضر احتمالات تحوير الأحداث، إذ غالبا ما تتأثر رواية الأحداث بهفوات الذاكرة ورهانات الحاضر.

ولذلك ينبغي التعامل مع التاريخ الشفاهي على أنه دليل وليس مجرد مصدر نهائي، لأن الذكريات ليس عادة ما تكون عرضة للنقص أو التشويش أو التعارض مع حقائق أخرى.

المبحث الثاني: سلبيات المنهج الشفاهي٦ .

١. اعتمادها على الرواة الأحياء كمصدرٍ رئيس؛ ولذا فإن البحث لا يكون إلاَّ في عمر جيل واحد من الأحياء فقط.
٢. خروج الراوي من مسرح الحياة بالموت، يؤدي إلى ضياع الكثير من التاريخ وحكاياته إلى الأبد.
٣. من آفة البشر السهو والنسيان؛ لذا فإن شهادة الراوي ليست بالضرورة حقيقية.
٤. لجوء بعض الرواة إلى تحوير رواياتهم، أو المبالغة في تناولهم للأحداث، إما بدافع المصلحة الشخصية، أو الخوف، أو طبقاً لبرامجهم في الوقت الحاضر، أو قد يحجب الراوي جزءاً من شهادته لأسباب عدة.
٥. قد تكون شهادات بعض الرواة على حساب البعض، بتجريمهم واتهامهم دون وجه حق
٦. لكي نصل إلى روايةٍ شفوية صحيحة قدر الإمكان، ينبغي مراعاة شروط عدة عند اختيار الرواة.

المبحث الثالث :شروط الرواية الشفوية

١. التأكد من اطلاع الراوي مباشرة على الأحداث التي يرويها.
٢. بُعد الراوي وتنزهه عن الأغراض الشخصية.
٣. سلامة ذاكرة الراوي.
٤. تعضيد روايات الرواة بعضها لبعض

وبذلك تكون المقابلة المعمقة هي الأداة الفاعلة لاستجلاء الحقيقة ،على أن تمتاز هذه المقابلة بأنها طويلة وتوغل بالحوار لدرجة تجعل الباحث يعقد جلسات عديدة مع نفس المبحوث ربما تستغرق الشهور، وبذلك تستهدف هذه المقابلة الحياة الفردية داخل السياق الاجتماعي والتي يكون فيها الباحث مستمع فعال كون نوعية الاتصال الذي تستدعيه هذه الأداة – التاريخ الشفاهي– تتطلب التخلي عن الرغبة في السيطرة على مسار الحوار والإنصات الكامل والتام مع الالتزام والانتباه لكل ما يحيط بالحديث٧ .

وبذلك يجب على الباحث أن يلتفت إلى أن موضوع الدراسة هو عنصر جزئي في الكل الثقافي للمجتمع المدروس وان هذا العنصر الثقافي يجب أن يحمل مدلول اجتماعي فضلا عن الاهتمام بدور الأسرة في نقل العناصر الثقافية المعيارية خلا عملية التنشئة –الاجتماعية – الثقافية بالإضافة إلى توضح مراحل النمو المختلفة للحالة من خلال أبراز المواقف الاجتماعية وتأثيراتها٨.

ومن أهم نقاط النجاح المعرفة المستفيضة عن الموضوع أو المشكلة المراد بعثها والتي سوف تقود الباحث إلى نوعية المبحوث المرتجى لاستجلاء الحقيقة ، وعليه يجب ومن خلال العصف الذهني* للباحث تحديد نوعية الأسئلة والتي يحبذ أن تكون مدونه بغية عدم النسيان ،قصيرة وغير مركبة من أجزاء متعددة ، أن لا تجاب بالرفض والإيجاب (نعم ، كلا) فنحن بحاجة إلى قصص وتفسيرات ، وان لا توحي بالإجابة بحيث يقدم المبحوث إجابة هو يعرف أنها سوف ترضي الباحث(٩).

ومن واقعنا الانثربولوجي يجب فهم التاريخ باعتباره ممارسة اجتماعية ، إذ لابد من الإشارة إلى وجود طرق مختلفة لتمثيل التاريخ شفويا حتى ضمن السياق الاجتماعي ويعود هذا الاختلاف إلى اختلاف هويات المتكلمين الاجتماعين والسياقات التي يتكلمون بها والموضوعات التي يتناولونها ، وهنا يجب الاهتمام بوسائل الإعلام والمواد المنوعة سواء الشفوية منها أو المكتوبة وذكريات الماضي المستمدة من أشياء وممارسات باعتبارها حاضرة في السرد الشفوي للتاريخ ،لذلك لا يوجد اعتبار أو مانع من استخدام التاريخ الشفوي والمكتوب جنبا إلى جنب كحلقات متكاملة لاستجلاء الحقيقة(١٠).

كما ان الإعداد الجيد للمقابلة الشفوية، هو دون شك مفتاح النجاح في كل مشاريع الرواية الشفوية، ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة من حيث أن هناك فرصة حقيقية وسهلة أمام الباحث، للتأكد من صحة ودقة المعلومات الواردة في المصادر الشفوية؛ لذلك فإن على الباحث الميداني في التراث– التاريخ – الشفوي عموما.

المبحث الرابع :خطوات المنهج التاريخي الشفاهي

اولا: المقابلة التمهيدية:

تعتبر المقابلة التمهيدية(جلسة الاستكشاف) جزءاً من منهجيات البحث في التاريخ الشفوي، وإحدى تقنيات إجراء المقابلات الشخصية الفعلية. وقد جرت العادة لدى الكثير من الباحثين في التاريخ الشفوي على إهمال مثل هذه الجلسة، إذ يُجرون مقابلاتهم الشخصية مع الرواة دون ترتيب وتنسيق مسبق، على اعتبار أن المقابلة التمهيدية هي جهد إضافي لا ضرورة له، وتعزى هذه النظرة من طرف بعض الباحثين في التاريخ الشفوي إلى العجلة والاندفاع، مع أن البحث في الامور التاريخية عامة يحتاج إلى جلد وصبر، فالفضيلة الأساسية في الباحث هي الصبر، عملا بالقول: "لا تشتغل بسرعة، واعمل وكأن في الإبطاء فائدة دائماً".

وتعتبر المقابلة التمهيدية اتصالاً أولياً بين الباحث والراوي، وهي فرصة جيدة لإنشاء نوع من الألفة والمودة والثقة بينهما. وبطبيعة الحال فإن هذه العلاقة الوليدة؛ ستلعب دوراً هاماً فيما بعد لتذليل الكثير من العقبات التي قد تعترض سير العمل أثناء المقابلات الفعلية التي سيجريها الباحث مع الراوي، كذلك فإن هذه العلاقة الناشئة ستخدم الباحث بشكل كبير، إذ أنه سيلقى تعاملاً وسيجد تعاوناً من طرف الراوي أكثر يسراً ومرونة. وبلا شك فإن طبيعة هذا التعاون وحجمه ونوعه، ستحدده قدرة الباحث على اكتساب مودة الرواي المستهدف، وكذلك براعته في الولوج إلى ذاكرته، فهناك مهارات ينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يتقنها في هذه المرحلة؛ كي ينجح في إحداث تقارب ايجابي بينه وبين الراوي، وهذه المهارات الشخصية والعلمية ينبغي أن يوظفها لهدف واحد، وهو محاولة اكتشاف شخصية الراوي من حيث سلوكه وصفاته وظروفه، فإذا نجح في تحقيق هذا الهدف، يكون قد نجح في صنع مصادره الشفوية؛ وبالتالي يستطيع توظيفها بشكل فاعل لخدمة جوانب بحثه المختلفة، وتوجيهها نحو تحقيق أهدافه المرجوة، ويقول أحدهم: (إنك لا تستطيع أن تؤرخ لعصر إلا إذا ألممت بروحه. ولا تستطيع أن تؤرخ لرجل إلا إذا ألممت بظروف عصره، وتمكنت من الإحاطة بظروفه الشخصية أيضا، حتى أوصافه الجسمية لابد من معرفتها، فهي في كثير من الأحيان ذات أثر بعيد في توجيه فكره وحياته.

والمقابلة التمهيدية، ركناً أساسياً من أركان البحث في التاريخ الشفوي، فلا يصح للباحث في التاريخ الشفوي أن يتغاضى عنها، فيقوم بإجراء المقابلة الفعلية قبل الانتهاء من المقابلة التمهيدية؛ لأن مثل هذا الإجراء الخاطئ سينجم عنه خلل منهجي واضح. وإن أي مقابلة فعلية تنفذ مع الراوي قبل إجراء مقابلة تمهيدية معه، ستكون معرضة للتعثر، وقد يصل الأمر بها إلى الإخفاق؛ بسبب توقع بروز بعض الخلافات حول قضايا مختلفة، كان من المفترض مناقشتها والاتفاق بشأنها مع الراوي أثناء المقابلة التمهيدية، وبسبب توقع ظهور ثغرات وقصور ومغالطات في جوانب من مادة الروايات الشفوية، جراء عدم التحضير والاستعداد لها مسبقاً من قبل الطرفين من الناحيتين العلمية والنفسية. والإجراء الخاطئ من قبل الباحث في التاريخ الشفوي؛ سيفرز نتاجاً مشوهاً ومنقوصاً ومبتوراً؛ ولتجنب ذلك يجب إتباع المنهج السليم في هذه المسألة، وهو إجراء مقابلة تمهيدية حسب أصول البحث في التاريخ الشفوي، وهذه المقابلة من شأنها أن تذلل عقبات البحث، وأن تدفع به نحو تحقيق الأهداف بطريقة موضوعية١١ .

وليس كل من يستجيب لأجراء مقابلة شفوية بقادر على إفادة الباحث, ولذلك ينصح بإجراء مقابلة تمهيدية قبل التسجيل للتعرف على الراوي وقدراته. إن مقابلة كهذه وإن بدت عملاً إضافياً فإنها مهمة جداً للأسباب الآتية:

٥. تعرُّف الباحث بالرّاوي، وتخلق بينهما نوعاً من التآلف والثقة.
٦. تعطي فرصة للباحث لاختبار معلومات الراوي، وصفاء ذاكرته، وقدرته على الاستذكار، واستعداده للتعاون مع الباحث.
٧. تساعد الباحث على تعديل اسئلته بحيث تناسب الراوي.
٨. تعرف الراوي بأهداف البحث، وتتيح له الفرصة لتنظيم أفكاره كي تناسبها.
٩. لأخذ موافقة الراوي على استخدام الرواية من قبل الجهات المعنية بعد أن تُسجل.
١٠. تُعرّف الباحث على الظروف التي ستتم فيها عملية التسجيل، من حيث توافر الإمكانيات الفنية مثل الهدوء، ومصدر للطاقة؛ ولذلك يفضل ان يجري هذا اللقاء في المكان نفسه الذي ستنفذ فيه المقابلة الحقيقية إن أمكن.

ثانيا: ضرورة اطلاع الراوي على موضوع المقابلة:

من المفيد كثيراً أن يكون الراوي على علم بموضوع المقابلة، والباحث الناجح في التاريخ الشفوي عليه أن يزود الراوي بأمرين خلال المقابلة هما: ملخص عن الموضوع، ومجموعة الأسئلة المقترح طرحها عليه؛ لأن هذا الإجراء سيخدم الباحث كثيراً خلال المقابلة الشخصية الفعلية، حيث سيكون لدى الراوي فرصة للإطلاع على ملخص الموضوع، وعلى

مجموعة الأسئلة المقترحة، كذلك سيكون لديه مساحة زمنية مناسبة تمكنه من التحرك فيها؛ من أجل التفكير والتذكر والمراجعة بشكل دقيق ومنظم، ويسترجع أحداث ومواقف لم تكن لتحصل لو تمت المقابلة بشكل مفاجئ ودون ترتيب وتنسيق مسبق.

إن إلمام الراوي بموضوع البحث، سيتضح بشكل جلي خلال المقابلة الفعلية، فتراه يطرح الموضوعات بشكل شمولي دقيق، وقد يوثق رواياته بمصادر مختلفة، ويدعمها بما يملكه من قرائن وأدلة؛ لأن إطلاعه المسبق على موضوع البحث منحه فرصة قوية لتجميع مادة الموضوع وتنظيمها وتبويبها، وبالتالي فإن أطروحاته ستكون مفصلة وأكثر موضوعية، كذلك فإن هذه الفرصة ستساهم في تنقية أقواله من الشوائب والزيف، على اعتبار أنه كانت لديه فرصة كافية لمراجعة نفسه ومحاسبتها وتوطينها؛ للإدلاء بما يمليه عليه ضميره، بخلاف لو تمت المقابلة بشكل عفوي، فقد لا تكون لديه فرصة لتنظيم أفكاره ومراجعة ضميره، ومن المحتمل في هذه الحالة أن تكون رواياته عبارة عن ردات أفعال متسرعة ومتهورة أكثر منها حقائق تاريخية، كذلك فإن عرض الموضوع مسبقاً على الراوي أثناء المقابلة التمهيدية، قد يحفزه ويدفعه للبحث عن موجودات ومقتنيات لها صلة بالموضوع، سواء كانت مخططات أو خرائط أو صور أو مستندات أو ما شابه، وإن حدث هذا فهو إنجاز يسجل للباحث، فيكون قد وفر لبحثه قرائن ودلائل تدعم رواياته الشفوية، كذلك فإن هذا الإجراء من شأنه أن يعطي فرصة للراوي لرصد قائمة بأسماء رواة آخرين لهم صلة بالحدث، وهذا الشيء إن تحقق فإنه سيخدم الباحث بدرجة كبيرة، إذ أنه سيوفر عليه جهداً كان سيبذله للبحث عن رواته[١٢].

ثالثا: تحديد زمان ومكان المقابلة:

تمثل المقابلة التمهيدية فرصة كبيرة لتحديد المكان الذي سيلتقي فيه الباحث مع الراوي، وعلى الباحث في التاريخ الشفوي أن يدرك بأن المكان يحتل مكانة خاصة في نفوس الكثيرين، وأنه يعني لديهم أشياء كثيرة، فهو يمثل بالنسبة لهم الماضي بكل ما فيه من صور ومظاهر، لا زالت تعيش في ذاكرتهم وتقتات بها مشاعرهم، فالماضي هو ملهمهم في أيام ضعفهم ويأسهم. ولذلك ينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يتريث كثيراً قبل أن يبت في أمر تحديد مكان المقابلة مع الراوي؛ لأن تحديد المكان لا يكون بصورة عشوائية، ولا يكون كالمعتاد في منزل الراوي أو مكان عمله كما يقرر بعض الباحثين ،كما أن تحديد مكان المقابلة لا يتم بمجرد التقاء الباحث بالراوي، وإنما يتم الاتفاق عليه بعد أن يكون الباحث قد سار شوطاً في دراسة شخصية الراوي وصفاته وسلوكه وظروفه وواقعه، لأن كشف مثل هذه الحقائق تخدم الباحث بشكل جيد، وتمكنه من اختيار المكان الأنسب للالتقاء بالراوي.

وعلى العموم فإن الاختيار الصحيح لمكان المقابلة الفعلية يعتبر من عوامل نجاحها، ومن أهم المواصفات التي ينبغي أن تتوفر في مكان المقابلة: الهدوء، وعدم وجود أشخاص آخرين غير مستهدفين قد يؤثر تدخلهم في سير المقابلة ومصداقية حديث الراوي؛ "لأن هناك الكثير من الموضوعات التي يتحرج منها الإخباري، بل وهناك ما قد تصل به إلى محاولة إنكاره أو على الأقل تحريفه ، فالراوي إذا وجد نفسه في مكان يأنس إليه، ويشعر فيه بالأمان والهدوء، فإنه سيشعر باسترخاء جسدي وعقلي يساعده على التفكير بشكل سليم ومنظم، وستكون نفسيته في حالة تسمح لذاكرته باسترجاع أحداث الماضي واجترارها. ولذلك يمكن القول أن تحديد مكان المقابلة هو عمل مشترك بين الباحث والراوي، فالباحث له أهداف والراوي له متطلبات، وعلى الباحث أن يوفق بين المطلبين ويقرر المكان بعد موافقة الراوي، وبالرغم من أن الراوي هو الذي يستضيف الباحث لإجراء المقابلة، وبالتالي هو الذي يحدد المكان الذي ستجرى فيه المقابلة، فإن الباحث يجب أن يقرر: هل المكان الذي أعده الراوي مناسباً لإجراء المقابلة أم لا.

وجرت العادة أن يلتقي الباحث بالراوي في منزله أو في مكان عمله، ولعل هذا المألوف سببه النظرة التقليدية تجاه مكان المقابلة، ولكن إذا نظرنا للمكان من خلال عين الباحث المتمرس التي ترقب وتبحث عن كل شاردة وواردة، كي تميط اللثام عن المجهول وتكشف أسراره، فإن الأمر سيختلف كلياً، وسيصبح المكان ليس مصطلحاً مجرداً، وإنما معنى وقيمة وذكرى عند صاحبه، ولذا يفترض أن يتم اختيار مكان المقابلة بعد دراسة مستفيضة لماضي الراوي وشخصيته وسلوكه وظروفه، فيتم بذلك الخروج عن المألوف وتحصيل غير المألوف، بمعنى قيام الباحث من خلال دراسته لشخصية الراوي خلال المقابلة التمهيدية بتعيين ورصد الأمكنة التي تحتل مكانة خاصة في وجدانه وتربطه بها ذكريات، ومن ثم الاتفاق معه للالتقاء به في إحدى هذه الأمكنة، في محاولة منه للخروج من بين جدران منزل الراوي أو مكتبه الصامتة، إلى جدران ماضيه الناطقة، فيطل من نافذتها على شواطئ الماضي وأطلاله.

كذلك يكون المكان أحياناً سبباً في إفشاء ذكريات طالما ظلت حبيسة نفس صاحبها، ولم يكن يسمح لنفسه من قبل بالبوح بها، لولا أن أرغمته خصوصية المكان على فعل ذلك، فعندما يكون الإنسان موجوداً في مستشفى على سرير المرض، فإنه يكون في مكان يوحي له بضرورة تخليص النفس من قيودها، وكأنه يجري حملة تطهير نفسي، فيصرح بأمور كان يتحفظ عليها سابقاً ويعترف بها بكل موضوعية ونزاهة. وأحياناً يتحدد مكان المقابلة بمحض الصدفة ودون ترتيب مسبق، وقد تتوفر في هذا المكان عوامل مناسبة لعقد اللقاء، وعلى الباحث ألا يفوت هذه الفرصة رغم عدم اختياره لمكان اللقاء وعدم استعداده له، لأن هذه الفرصة قد لا تتكرر مرة أخرى.

فالمكان يعد ركناً أساسياً من أركان المقابلة الشخصية الفعلية الناجحة، وهو يؤثر بشكل كبير على سيرها، وعلى حجم ونوعية البيانات التي يحتفظ بها الراوي، والمكان له خصوصية لدى الكثيرين، فهو بمثابة المفتاح الذي يفتح باباً طالما كان موصداً وعصياً أمام المحاولات المتكررة. وعلماء النفس يستخدمون المكان لتعديل السلوك، كما أن المحققون الجنائيون يوظفونه لاستجواب المشتبه بهم، ولذلك فإن المكان يشكل جزءاً هاماً في حياة الناس، ففيه تكمن ذكرياتهم، وبين ثناياه تختبئ تجربتهم، وعلى أغصانه ترقد مشاعرهم، وعلى صخوره تترسخ أحلامهم، فليس هناك أعظم من المكان لإثارة الذكريات ونفض غبار الزمان عن صفحات الحياة.

أما بالنسبة لتحديد زمن المقابلة، فينبغي على الباحث في التاريخ الشفوي أن يرصد أثناء المقابلة التمهيدية الأوقات التي تصلح لإجراء المقابلة الفعلية مع الراوي، لأن اختيار الوقت المناسب يعتبر عنصراً هاماً من عناصر نجاح المقابلة، وليس بالضرورة أن يترك تحديد الوقت للراوي فقط كما يقرر بعض الباحثين، بل يجب أن يشاركه في ذلك الباحث أيضاً، لأن الباحث له رؤية وهدف من وراء ذلك، فالوقت لدى الباحث يعتبر من تقنيات البحث في التاريخ الشفوي؛ ولذلك فإن توظيفه يعد مهمة ضرورية، ولا سبيل للتعامل مع هذه المسألة ببساطة، وكأن الوقت هو عنصر لا يؤثر على سير المقابلة. كذلك لا يصح للباحث في التاريخ الشفوي أن يجدول مواعيد مقابلاته حسب أوقاته وظروفه، دون مراعاة لظروف الراوي، فهذا إجراء خاطئ يعود بأكبر الضرر على سير المقابلة الفعلية، كذلك يجب على الباحث الابتعاد عن أوقات الراوي الخاصة: كالمناسبات العائلية وساعات العمل والانشغال.

وعلى العموم فإن تحديد موعد المقابلة الفعلية، يعد مهارة في تقنيات البحث في التاريخ الشفوي؛ لأن الوقت يشكل جزءا من ثقافة الإنسان. فالباحث الناجح سيتلمس الموعد المناسب لإجراء المقابلة الفعلية؛ من خلال دراسته لشخصية الراوي ومراجعة ملف حياته، والراوي في الأغلب يوافقه على اختياره، لأنه سيشعر براحة حيال هذا الموعد، وسيجد في نفسه ميل ورغبة في أن يكون اللقاء في هذا الموعد، وهكذا تكون قد تقاطعت أهداف الباحث مع رغبات الراوي في اختيار الوقت المناسب لتحديد إجراء المقابلة الفعلية. إن اختيار الوقت المناسب يعد من أسس المقابلة الشخصية الفعلية الناجحة، فالوقت

عالم كبير، وهناك من يختبئ بين أحضانه مستأنساً بعيداً عن صخب الحياة وهمومها، وهناك من ينتظر عتمته ليرسم ملامح مستقبله، وهناك من يتعلق بأهدابه للعودة إلى الماضي البعيد، وهناك من يحتضن كراسة ذكرياته ليتصفح

هوامش الدراسة

١ – د.جعفر نجم نصر . الانثروبولوجيا التاريخية .الانتشار العربي .بيروت . ط١.ص٣٤

* –عرف البروتستانت الإسفار التي تعرف لدى طوائف أخرى بال(الإسفار القانونية الثانية)، بال(أبوكريفا)لأنه لم يذكر من تعاليم المسيح والرسل الأوائل(الذي عاصروا وشاهدوا المسيح)، ما يثبت صحتها إلى اليوم. و قد يعتبرها البعض مفيدة ولكن من الخطاء الكبير والغير مبرر، ان تدعى بالكتاب المقدس الموحى به من الله والمكتوب من أناس مساقين بالروح القدس

* د.مسعود ضاهر الحاصل على إجازة تعليمية ودبلوم الدراسات العليا في التاريخ من الجامعة اللبنانية، ودكتوراه الحلقة الثالثة ثم دكتوراه دولة في التاريخ الاجتماعي من السوربون، باريس الأولى. ويمارس التدريس في الجامعة اللبنانية منذ عام ١٩٧٣.

٢ – شبكة الالوكة http://www.alukah.net/

٣ – يوسف احمد الحسن .مجلة الواحة للدب والتراث في الخليج العربي..http://www.alwahamag.com

٤

٥ –جولي مكليود وريتشيل طومسون .بحث التغير الاجتماعي .ترجمة سحر توفيق .المركز القومي للترجمة .العدد ١٩٩٢.ط١ .٢٠١٤ . ص٤١

٦ – د . اسمة مخمد ابو النحل . دور التاريخ الشفاهي في الحفاظ على الهوية الفلسطينية . موقع موؤسسة فلسطين للثقافة . http://www.thaqafa.org

٧ – شارلين ناجي هيسي ، بايير باتريشا لينا ليفي ، دخل إلى البحث النسوي (ممارسة وتطبيقا)، ترجمة هالة كمال ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٥، ص ٢٣٣

٨ – محمد حسن غامري . المناهج الانثروبولوجيا . المركز العربي للنشر والتوزيع .الاسكندرية . ص١٥٣

* العصف الذهنيّ على أنه تنشيط للذهن وذلك عن طريق التفكير السريع لحل قضية معينة، عن طريق التنقيب عن آراء وأفكار وحلول خلاقة وإيجابية اتجاه موضوع معين. ويُعدّ أسلوب العصف الذهنيّ من أكثر الأساليب التي تعمل على تنمية التفكير العقلي، حيث يُسمح عن طريقها بالتفكير النشط دون عوائق أو حواجز في جو آمن خال من الإحباطات، والانتقادات، والتحيزات

9 -Stephen Winick and Peter Bartis.Folklife and Fieldwork: An Introduction to Cultural Documentation. Library of CongressWashington, DC, 2016.page17

١٠ – احمد عبد المنعم العدوي ومجموعة من المؤلفين .التاريخ الشفوي .المجلد الثاني .المركز العربي للأبحاث والدراسات .ط١ .٢٠١٥ . قطر . ص٢٦

١١ – جهاد سليمان سالم المصري، **أهمية المقابلة التمهيدية في التاريخ الشفوي**، بحث نشر في كتاب المؤتمر العلمي: التاريخ الشفوي الواقع والطموح، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٦م.على موقع http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=6581

١٢ – المصدر نفسه